

برل الاشتراك عن سنة  
١٠٠ في مصر والسودان  
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى  
نمن العدد ٢٠ مليا  
الاعتمادات  
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها السنول  
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين  
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة  
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٦١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

## محمد إسعاف النشاشيبي

المكتون إلا أن يشكروا على العطاء والأخذ ، ويمجدوا على  
المحبوب والمكروه !

كنت نالك ثلاثة استيقام الوفاء بجانب إسعاف في ساعاته  
الأخيرة ؛ وكان الطيب واقفاً يصف الدواء وينظم الملاج ويرشد  
المرضاة ؛ وكان المريض جالساً في سريريه حاضر الذهن حافل الخاطر  
ينال انبهار النفس من الربو ، ويجاذب المواد مارقاً من الحديث :  
فهو يضع لسانه حيث شاء من نوادر اللغة ، وطرائف الأدب ،  
فينقل من الكلام في ( ليس غير ) إلى الكلام في ترجمة ( حوتة )  
لقعيدة خلف الأحمر ، حتى إذا سمع الطيب يصف له البنسلين  
قطع الحديث وقال بلهجتة المروفة : أنا أكره البنسلين لأنه أنقذ  
تشرشل ! فقلنا له : ونحن نحبه لأنه سيقذف أبا عبيدة ! وكانت  
مظاهر العزم في حديث ( أبي عبيدة ) توسع في أنظارنا فسحة  
الأمل ، وتصرف عن أذهاننا فكرة الخوف ، فلم يدرك خلدنا  
أن النية كانت مرهقة فوق سريريه تنتظر أنفاسه المدودة أن  
تنقضى ، وأنفاظه السرودة أن تنفذ ، فلم يكده السامر ينفذ  
والساهر ينام حتى ختمت على فمه المنون فسكت سكوت الأبد !  
ولد محمد إسعاف بن عثمان النشاشيبي بالقدس حوالي سنة ١٨٨٢  
في أحد البيوتات التي تجاذبت السيادة على فلسطين ؛ وكان أبوه  
من ذوى الثراء والدين والخلق فنشأ على الطباع العربية الأصيلة  
من جراءة القلب وصراحة الرأي وحرية الضمير . ثم أراد أن  
يجمع له أطراف المجد بالدم والدل فبعث به إلى المدرسة البطريركية  
ببيروت فشدأ شيئاً من مبادئ الآداب والعلوم ، ثم انقلب  
إلى أبيه ، وكان يومئذ وحيداً ، فنظمه بالعمل في سلكه ،



أهكذا ، وفي  
أسرع من  
رجع النفس  
يسكت اللسان  
الذليق ، ويسكن  
العصب الثائر ،  
ويحمد الذهن  
التوقد ، ويقف  
القواد الذكي ،  
ويصبح النشاشيبي  
نمياً في الصحف ،  
وخبراً في البلاد ،

وحديثاً في المجالس ، لا يقول فنسمع ، ولا يكتب فنقرأ ؟ !  
أهكذا ، وفي مثل ارتداد الطرف يترك النشاشيبي قلبه سائلاً  
بالمداد ، وكتبه مهياً للطبع ، ومجلسه مشتاقاً للسمع ، ومجلته  
منتظرة ( للنفيل ) ، ويذهب إلى حيث لا يرجع ولا يكتب ولا  
يتحدث ؟ !

سبحانك يا رب ! شمع أرسلته ثم رددته ، وروح بثته  
ثم أعدته ، وظل بسعته ثم قبضته ، ولواء رفعت ثم خفضته ،  
وبنو آدم الماجزون الغماص لا يعلكون أمام أمرك البادي ومرك

لأن النشاشيبي لم يكتب للشهرة والمجد، إنما كان يكتب للمصيبة والقييدة. أخلص لله فأخلص لقرآنه، وأولع بحمد فأولع بلسانه. فإذا جلس إلى الناس في القدس أو في دمشق أو في القاهرة كان مجلسه ندوة علم وأدب وفكاهة، لا تُذكر مسألة إلا كان له عنها جواب، ولا تثار مشكلة إلا أثارق له فيها رأى، ولا تُروى حادثة إلا وورد له عليها مثل، ولا يحضر ندوته أديب مطلع إلا جلس فيها جلسة الاستفادة. ثم كان في غير مكتبه ومجلسه يشارك في معارف فلسطين بعمله، وفي المجمع العلمي العربي بعمله، وفي الثقافة العامة بكتبه، وفي المحافل الأدبية بخطبه، وفي المساعي الخيرية بماله. ثم أفلح منذ أربعة عشر عاماً عن شهوات الجسد فلم يبق له من لذات العيش إلا السكتاب العربي والسكارة التركية. ولكن إصرافه على شبابه أعقبه علة في شعاب الرثة جرت إليه الربو؛ واصطلحت هاتان العاتان على القلب طيلة عشر سنين حتى أضغفناه، ومن هنا جاءت منيته.

كان النشاشيبي جاد الله بالرحمة تراه رجل وحده في الأسلوب والخط والحديث والتحصيل. أسلوبه عصبي ناري تكاد تحس الوهج من ألفاظه، وتبصر الشعاع من صراميه. وخطه نمط عجيب بين الكوفي والتليق لم يأخذه عن أحد ولم يأخذه منه أحد. وحديثه نبرات قوية تبرز الألفاظ، وحركات سريعة تمثل المعاني، وانفعالات شتى تتعاقب على قسبات وجهه وأصابع يده. وتحصيله عجيب من العجيب؛ لا تستطيع أن تذكره كتابياً من كتب العربية لم يقرأه، ولا يتكلم من شعر الفحول لم يحفظه، ولا خبراً من تاريخ العرب والإسلام لم يروه، ولا شيئاً من قواعد اللغة ونوادير التركيب وطرائف الأمثال لم يلمه؛ فهو من طراز أبي عبيدة والمبرد، ولذلك كان أكثر ما يكتب تحقيقاً واختياراً وأمالاً. ثم كان إلى كل أدائك متواضع النفس، فكاهة الأخلاق، لطيف الروح، نفاح اليد، عفيف اللسان، مأمون الغيب، لا يتنزز بحسبه، ولا يطاول بماله، ولا يباهى بعمله، ولا يفخر بشيء مما يتمدح به الناس إلا بالانتساب إلى العرب والانتباه إلى محمد إنا النشاشيبي كان خاتم طبقة من الأدباء اللغويين المحققين لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته أن يجود بمثل. فنحن المحافظين على التراث الكريم، والمتميزين بالماضي العظيم، أن يطيلوا البكاء على فقده، وأن يرتوا الحلال المروبة والعربية من بعده! **صحيح ونزيات**

ونزل له بالبيع عن أكثر ملكه. وأخذ إسماعيل يتقلب في ظلال أبيه على مهاد النعم والخفض حتى تزوج أبوه زوجة أخرى، ورزقه الله ولداً آخر، فأراد إسماعيل أن يرد إليه ما أعطاه ليكون شركة بينه وبين أخيه؛ فأبى إسماعيل أن ينزل عن شيء دخل في رزقه وأصبح من حقه... وانشقت العصا بين الأب وابنه، فخرج إسماعيل من كنف الأبوة مناضباً مضطرباً في المعاش ويسمى على نفسه. ومنذ ذلك اليوم عرف إسماعيل المهمل وذوق الألم وكابد البؤس. كان يعمل ليلته فأصبح يعمل ليلته؛ وكان يقرأ ليلاً فأصبح يقرأ ليلاً؛ وكان يحيا لينعم فأصبح يحيا ليموت. وولى أبوه غفر الله له وساطة الناس أذنكاً صمماً فلم يمنه على تكاليف العيش بتكليفه من ربيع أرضه، فذهب يستقطر الرزق من تعليم العربية في بعض المدارس. وكان يعمل ببعض الضعيفات من أهله، فتحمل في سبيل ذلك رهقاً شديداً بقي أثره بارزاً في نفسه طيلة حياته، تعاوده ذكره في سكنته فيضطرب وفي لذته فيتألم. ثم حسم الله الخلاف بينه وبين أبيه بالموت، فوضع إسماعيل يده على نصيبه من الثراء المريض. وعاد إليه الخطب بما يتملقه ويمتدح إليه، فتلغاه الكادح المحروم كما يتلقى الثرى المكروب ماء المزن وفي القدس شيد قصره اللينف ليكون مثابة للأدباء ومجماً للأدب، ثم اقتنى مكتبة من أنفس الكتب وأندرهما، وأقبل عليها وهو لا يزال في ربيع العمر فقتلها علماً وفهماً وتديقاً وتعليقاً واختياراً واستظهاراً فلم يترك كتاباً مما أخرجته المطابع أو نسخته الأقلام في القديم والحديث إلا قرأه وعلق عليه واستفاد منه. ثم وقف بعد ذلك نفسه ووقته وجهده على دراسة الإسلام الصحيح في مصادره الأولى، وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها من منابعها الصافية؛ وأعانته على ذلك قربة سمحة وبصيرة نيرة وحافضة قوية وذوق سليم، فكان آية من آيات الله في سعة الاطلاع وكثرة الحفظ وتقصي الأطراف وتمحيص الحقائق. ثم جالس على مكتبه كما كان يجلس ابن دريد، عن يمينه زجاجة فيها مداد القلم، وعن يساره أخرى فيها مداد الفكرة؛ وأخذ يمسح كما تمسح النحل إذا امتلأ جوفها بالرحيق. وفاضت بهذا المسح العسقي أنهر الصحف والمجلات في الشام ومصر، فاشتاره القراء متنوع الطعوم مختلف الألوان متعدد الأسماء. ولئن سألوا لن هذا الشراب أعياهم أن يجدوا الجواب في إضاءاته الرمزية من نحو (ن) و (أزهري المنصورة) و (\*\*) و (السهمي)؛